مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 09 عدد: 4 السنة: 2020
ص: 244 - 265 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

بَلَاغَةُ الضِّدِّ وَدَوْرُهُ فِي التَّمَاسُكِ النّصّي فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

Antonym rhetoric and its role in Cohesion in the Qur'an

د. زيتونة مسعود علي *

Dr . Zitouna Messaoud Ali

كلية الآداب واللغات ـ جامعة الشهيد حمة لخضر .الوادي ــ الجزائر .

Faculty of Letters and Languages University d' Eloued – Algeria

zitouna2001@gmail.com

تاريخ الإرسال:2020/04/15	تاريخ القبول:2020/08/31	تاريخ النشر : 2020/11/07

الملخّص:

اهتمّ القرآن الكريم بعلاقة الضّدّ اهتماما كبيرا؛ فهو كثيرا ما يتحدّث عن الشّيء فيُرْدِفه بضِدّه، ويجْمَع في السّياق الواحد بين الحالات المتنافرة، والنّماذج البشريّة المتناقضة، ويتعَمَّد الرَّبْطَ بين المتضادّات كصِفات المؤمنين وصفات الكافرين،وأصحاب الجنّة وأصحاب النار ، ومشاهد النّعيم ومشاهد الجحيم، ويُوعِد ويَتَوعَّد، ويُرغِّب ويُرَهِّب .... وفي هذا الجمْعِ أسْرارٌ متَنوّعة، وفوائد متَعدِّدة ، يتّضح من خلالها أثرُه في التّعبير، وأهميّته في التّأثير، وبلاغته في الكلام، ودورُه في تماسك آيات السّورة الواحدة ، والسّورتيْن المتَجاوِرَتيْن ، وفي تماسك النّص القرآني كلّه .

سنَتَطرّق في هذا البحث إلى بلاغة الضّد وأهميّته في القرآن الكريم ، وإلى الدّور الذي يؤدّيه في تماسك آياته وسُورِه .

الكلمات المفتاحية: بلاغة ، ضدّ ، تماسك نصي، قرآن كريم.

Abstract:

The Qur'an is very interested in the relationship of antonyms; it often talks about something and gives its antonym, it also combines in the same context, contradictory situations with contradictory human models. Qur'an deliberately links between opposites, such as the characteristics of believers and that of unbelievers, the Owners of Paradise and the Owners of Fire. In addition, the scenes of Bliss and that of Hell, it also promises, threatens, desires and intimidates.

In this collection, many various secrets and multiple benefits are enclosed, through which its impact on the expression is clear, its importance in influencing, its eloquence in speech, and its role in the cohesion of the

* زيتونة مسعود علي.zitouna2001@gmail.com

verses of the one Surah, and of two adjacent Surahs, Besides, the impact is shown in the coherence of the whole Quranic text.

In this research, we will shed light on the eloquence of antonym and its importance in the Qur'an, and the role it plays in the cohesion of its verses and Surahs.

Keywords: Rhetoric , Antonym , Cohesion , Holly Quran.

تمهيد :

الكون كلّه مبنيّ على التّضاد ومستمرّ به، فإذا تأمّلنا ما حولنا نجده معتمدا عليه ؛ فالدار داران، دنيا وآخرة؛ ففي الدنيا مؤمن وكافر، تقيّ وعاص،حسنات وسيئات ... وفي الآخرة سعيد وشقيّ، ثواب وعقاب، جنة ونار... والطبيعة البشريّة قائمة على المفارقات والتناقضات؛ففي الحياة الإنسانية الصادق والكاذب،الطيب والخبيث، المتواضع والمتكبر... وفي الطبيعة؛ أرض وسماء، نور وظلام ... إلى غير ذلك من المتضادّات. فالتّضاد "من الأسس التي يقوم عليها الوجود، فهو يملأ الحياة حولنا ويجعلها تستمرّ وتبقى ولولاه لفقَدتْ معناها"[1].فهو يعكس طبيعة الأشياء في هذا الوجود ويعبّر عن حقائق الحياة،والكلمات المتضادّة تعبير عن خصائص كونيّة واجتماعيّة ونفسيّة[2]،والحكمة بل المصلحة في وجودها، يقول الجاحظ (ت255 ه): " اعلم أنّ المصلحة في أمر ابتداء الدّنيا إلى انقضاء مدّتها امتزاج الخير بالشرّ ،والضّار بالنّافع،والمكروه بالسّار،والضعة بالرّفعة، والكثرة بالقلّة. ولو كان الشرّ صرفا هلك الخلْق، أو كان الخير محضا سقطت المحنة، وتقطّعت أسباب الفكرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة"[3].لأنّ النّاس بطبيعتهم مختلفون، والحياة أجزاء متضادّة ،" فلو كان كلّ فنّ من العلوم شيئا واحدا لم يكن عالم ولا متعلّم ولا خفيّ ولا جليّ؛ لأنّ فضائل الأشياء تعرف بأضدادها، فالخير يعرف بالشرّ ، والنّفع بالضرّ، والحلو بالمرّ، والصغير بالكبير، والباطن بالظاهر"[4]. ومن هنا نتجت علاقة الضّدّ .

1 ـ تعريف الضدّ :

ورد في تعريف الضدّ لغةً ،أنّ " كلّ شيء ضاد شيئا ليغلبه، والسواد ضدّ البياض، والموت ضدّ الحياة، واللّيل ضدّ النهار إذا جاء هذا ذهب ذلك"[5]،وضادَّه: خالَفَه [6].

ومنه فالضدّ يحمل معنى الخلاف وعدم الالتقاء ،وانتفاء أحَدِ المتضادّيْن بوجود الثاني. لذلك فقد عرّف العسكري المتضاديّن بقوله: "هما اللَّذَان يَنْتَفِي أَحدهمَا عِنْد وجود صَاحبه إِذا كَانَ وجود هَذَا على الْوَجْه الَّذِي يُوجد عَلَيْهِ ذَلِك كالسواد وَالْبَيَاض"[7].أما الجرجاني فقد عرّفهما بقوله:"الضّدّان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد، يستحيل اجتماعهما"[8].

هذا وقد استخدم العرب القدماء مصطلحاتٍ مختلفة تصبّ في دائرة الضّدّ وتحمل معناه وتصبّ في دائرته مثل: التّكافؤ والتّناقض والخلاف والتّغاير وغيرها... [9]. ولعلّ أشهرها وأكثرها انتشارا هما الطباق والمقابلة .

2 ـ تعريف التّماسك النّصي :

التّماسك مصدر (تمَاسَك) التي أصلها (مَسَك)، وقد وَرَد فيها: الْمَسَكَةُ مِنَ الْبِئْرِ: الْمَكَانُ الصّلْبُ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى طَيٍّ ، لِأَنَّهُ مُتَمَاسِكٌ. وَالْمَسْكُ: الْإِهَابُ، لِأَنَّهُ يُمْسَكُ فِيهِ الشَّيْءُ إِذَا جُعِلَ سِقَاءً [10]. وفلان يتفكّك ولا يتماسك[11]. ودَواءٌ مُمَسَّكٌ: خُلِطَ به[12].

ومنه فالتماسك لغة يحمل معاني القوّة والصّلابة والرّبط والخلْط والتّلاحم وعدم التّفكّك . وكلّها معانٍ تُناسِب التّعريف الاصطلاحي للتّماسك،الذي عُرّف بأنه:"يعني العلاقات أو الأدوات الشّكليّة والدّلاليّة التي تسهم في الربط بين عناصر النّص الدّاخليّة،وبين النّص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى" [13]. فالنّص تُكَوّنه شبكةُ علاقاتٍ تربط أجزاءه، وتُسهم في وضوحه، وتجعله ـ بالتالي ـ نصًّا ، وبدونها يفْقِد هذه الصّفة . ومن ثمّ فالتّماسك مصطلح ظهر مع لسانيات النّص، وبينهما صلة وثيقة .

وينقسم التّماسك إلى شكلي؛ يهتمّ بدراسة علاقات التّماسك الشّكليّة، بما يحقّق التّماسك الشّكلي للنّص. ودلالي يهتمّ بدراسة علاقات التّماسك الدّلاليّة بين أجزاء النّص من **ناحية**، وبين النّص والسّياقات المحيطة به من ناحية أخرى [14]. وكلّ نوع له آلياته ووسائله المختلفة ، ومن هذه الوسائل علاقة الضدّ .

3 ـ اعتماد القرآن الكريم على الضّدّ:

اهتمّ القرآن الكريم بعلاقة الضّدّ اهتماما كبيرا، فلا تكاد تكون سورة أو موضوع تنعدم فيه هذه العلاقة . فهناك ألفاظ ومعان وموضوعات متقابلة لا تكاد تفترق في القرآن الكريم. فهذا الأخير لا يهْتَمّ بجانب دون آخر، ولا يُغلّب جانبا على آخر، بل يُعْطي كلّ واحِد حقّه ، وهو

كثيرا ما يتحدّث عن الشّيء فيردفه بضدّه، فيجمع في السياق الواحد بين الكلمات المتقابلة، و الصّفات المتضادّة، والحالات المتنافرة، والنّماذج البشريّة المتناقضة ، و يتعمّد الرّبطَ بين الإيمان والكفر، وصفات المؤمنين وصفات الكافرين ، والطاعات والمعاصي ، والنّور والظلمات ، والنّفع والضّرّ، والرّشد والغيّ ، والطّيب والخبيث ، والحسنات والسّيّئات ، وأصحاب الجنّة وأصحاب النار ، ومشاهد النّعيم ومشاهد الجحيم، و يُوعِد ويتوعّد، ويرغّب ويُرَهّب ، ويُبَشِّر ويُنْذِر ، ويَلِين ويَشْتَدّ ... حتى أنّ كثيرا مِنَ المتَضادّات قدْ تَكَرّرت بالعَدَد نفْسِه في القرآن الكريم ، مثل الدّنيا والآخِرة،والملائكة والشّياطين،والحياة والموْت،والسّيِّئات والصّالحات،والنّفع والفساد[15]، و أنّ الله يَصِف نفسَه مرّة بالغفور الرّحيم ، وأخْرى بشَديد العقاب ، حيث يقول تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** ﴾ الحجر49 . 50 . والمتأمّل في أسماء الله الحُسْنى، يجد الكثيرَ منها مُعْتمدا على التّضاد مثل: القابض الباسط، الخافض الرّافع، المُعِزّ المُذِلّ، المحْيي المِميت ، المقَدّم المؤَخّر، الأوّل الآخِر، الظّاهر الباطن، الضّار النّافع .ولعَلّ هذا كلّه يُوحِي بِتوازن الإسلام ووَسَطِيّة القرآن الكريم .

4 ـ أهميّة الضّدّ وبلاغته في القرآن الكريم:

يتمثّل الضدّ في البلاغة العربية القديمة في اللونين البديعيين " الطباق والمقابلة"، والبديع هو القسم الثالث من أقسام البلاغة، قصره البلاغيون على التزيين ، واعتبروه ذيلا للبلاغة ، وحِلْيةً زائدة مقتَصِرة على الشّكل. وهو ما لم تستسيغه الدراسات الحديثة التي اسْتَوْعَبَتْ فكرة الضّدّ، وفهمتْ حقيقةَ وجوده ، وحقيقتَه في التّعبير، وعرفت أنّ دوره جوهريّ ، وأنّه من مقوّمات التّعبير، وأساس بناء النّص وبلاغته . لذلك لا يمكن أنْ يكون في نظرها حِلْية زائدة ، مستفيدةً من تطوّر الفكر البشري ، ومِن الدّراسات والمناهج الحديثة ، فالعالم ـ من وجهة نظر البنيويين ـ مجموعة من الثّنائيات المتشابكة، والمتقابلة تنعكس على شبكة العلاقات اللّغوية، فَتُحِيلها إلى مجموعة من الثّنائيات الخالصة[16]. وهي في ذلك منْطلِقَة من نظرة اللّسانيات إلى اللّغة على أنّها نظام من الاختلافات[17].

وكان من نتائج ذلك أنّ الشّاعر الحديث اعتَمَد في بناء قصيدته وفي شعريتها على الضدّ ، كما تصدّى له النقدُ بصورة مختلفة ، وسارَ متّجها به وجهة عمَلية ، متفهّما لطبيعته وأهميّته الخاصّة في لغة الأدب والشعر[18]، لأنّ المبدعين بنوا إبداعاتهم على أساس الحياة العصريّة، القائمة

على الصّراعات والمتناقضات . لذلك ركّز النّقاد والباحثون المحدثون في ظاهرة الطباق والمقابلة على هذه المفارقات وتشابكها وعمقها الفلسفي وأبعادها.

وبناء على ذلك ، فمِن الباحثين مَنْ رأى أنّ التّجربة الشعرية الحديثة تَتَمحْور حول عموديْن يتكاملان عضويّا هُمَا الموت والحياة، الهزيمة والانتصار، العذاب والثورة، الغياب والحضور، فعبّر الشعراء عن دلالات هذه التّجربة[19]. وقد أطلق عليها علي عشري زايد(المفارقة التصويرية)، وهي "تكنيك فنّي يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوعٌ من التناقض"[20]. أمّا مصطفى السّعدني فأطلق عليها اسم (المفارقة)، وقسّمها إلى المفارقة بالطباق والمفارقة بالمقابلة والمفارقة بالعكس والتّبديل ، ويقْصد بها إبراز التناقض بين الطرفين[21]، ذلك لأنّ الضدّ يجْمَعُها، وفي الضدّ مفارقة . فقامت فلسفةُ الصّورةِ في الشعر الحديث على هذا النّوع من المفارقة والتّعارض المؤدّي إلى المعنى[22].

للضدّ أهمية كبيرة ، وبلاغة عالية في التعبير الأدبي ــ كما سبق ـ وفي القرآن الكريم؛ لأنّ الربط بين الثّنائيات الضدّيّة والجمْع بين المتناقضيْن في السياق الواحد أسرارٌ متنوعّة وفوائد متعدّدة في القرآن الكريم، يقول صاحب (بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم):" فإنّ من أساليب القرآن الكريم التّقابل بين الإيمان والكفر وعواقبهما، والفضيلة والرّذيلة، والخير والشرّ، والحقّ والباطل، والآخرة الباقية والدّنيا الفانية . وذلك لتنبيه الذّهن إلى فضائل الأولى فيلتزم بها المؤمن من تلقاء نفسه ويَعْرض عن الأخْرى وهُو قانِع بِشَرّها وسُوئِها"[23]. لذلك فالغالب في السّور أنْ ترد آيات الرحمة بإزاء آيات العذاب، ومشاهد النعيم في مقابل آيات العذاب، وخطاب الوعيد والتّرهيب بإزاء خطاب الوعد والترغيب ، وذلك للتّخويف والتّبشير، والتّذكير والتّحذير. وقلّ أنْ يرد أحدُ هذين المعنيين منفردا[24]. فالتّضاد يَهدِف إلى إظهار التّباين والتّباعد بين طرفيْه، اللّذيْن يكونان شاخِصيْن أمام القارئ أو السامع، فيَسهُل عليه التّمييزُ بينهما واختيارُ أحدِهما، والنّفور من الثاني،" إذْ يتراءى الأثر النّفسيّ وعنصر الإثارة واضحا في صيغ الوعد والوعيد والترغيب والترهيب حين تعرض أعاجيب الكون ومخلوقات الله ــ عزّ وجلّ ــ ومشاهد الطائعين والعاصين ، والجنّة ونعيمها والنّار وجحيمها"[25]،إلى جانِب أنّ التّضاد هو نمطٌ تعبيريّ مُحَفِّز للتّذكّر،ومُنَشِّط للذّاكرة، لأنّ الثّنائيّات الضّدّيّة يستدعي بعضها بعضا بسهولة،وتسترجعها الذّاكرة بسرعة رغم قيامها على التّناقض بين الطّرفين[26]،ما يساعد المسلمَ على التّذكّر والعبرة . ومن ثمّ له أثره البالغ في التّعبير

والتّأثير، فهو " يوقظ الإحساس ويأجّج العاطفة ويستفزّ الشعور من خلال تسليط الضّوء على المفارقة والتّنافر بين الأشياء ممّا يُحدِث هزّة شعورية متوتّرة ورافضة لهذا التّناقض"[27]. فمثلما يستدعي المعنى شبيهَه ، فهو يستدعي مقابلَه ، لذلكّ فالضّدّ مثل التّشبيه، أو أكثر خطورة على البال وأوضح في الدّلالة على المعنى منه ـ كما يرى البلاغيون ـ[28].

وبحديثنا عن التشبيه والضدّ وبلاغته، نذكر أنّ هناك نوعا في القرآن الكريم يعتمد على التشبيه والاستفهام الإنكاري، لكنه تشبيه غير عادي ، لا يعتمد على العلاقة بين طرفي التشبيه؛ المشبه والمشبّه به كالتشبيه المعروف ، بل يركّز اهتمامه على المفارقة والضدّية بينهما . ولعلّه هنا استمدّ بلاغتَه من امتزاجه بالاستفهام وبهذا النوع من التشبيه ، ومِن الصراع الناشئ بين التشبيه الذي أصله ربط بين طرفين ، والضّد الذي يباعد بينهما ، ويتدخّل عنصر ثالث في الأسلوب ، وهو الاستفهام الإنكاري" الذي يدلّ على نفي التسوية"[29] ، لِيَحسِم الأمر لصالح الضدّ. وهذا الأسلوب انفرد به القرآن الكريم ، ولا يُستعمل في غيره .من ذلك قوله تعالى:

﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ النحل17.

﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ**﴾ السجدة 18.

﴿**أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ**﴾ محمد14.

وقد أطلق عليه أحدهم اسم "التشبيه السلبي" ، لأنّه يعتمد على سلب التشبيه بين ما عَدّه الناس متشابها ، ورأى أنها تشبيهات تكون حين يجري القرآن الكريم مقارنة بين معنيين ضدّين أو كالضدّين[30] ، لينفي عنهما المشابهة ، وفي الوقت نفسه يثبت البُعدَ الشاسع بينهما.

وعلى هذا الأساس، فالضدّ " شرط فنّي وأصل جمالي تتحقّق به أدبيّة النّص وشعريته"[31] من خلال رَبْط المتناقِضَيْن، وتجْمِيعِ المتنافِرَيْن، وكشْف جمالهما، وإحداث المفاجأة والدّهشة لِلمتَلقّي . فتظهَر الوظيفةُ الدّلاليّة من خلال استدعاء الضّدّ لضدّه ، ومن خلال ما يُضْفيه عليه من تميّز ومُفارقة وجَلاء وتَوْضيح للْمعاني." فَدُخُول اللّفظة في علاقات مع ألفاظ أخرى، يُكسِبُها وظيفةً لم تكُنْ لها قبل ذلك. وعلى ذلك فقَدْ تنْبَثِق من العلاقات الجديدة وظائف دلاليّة أخرى أو إيقاعات مُوسيقيّة"[32]. فالإيقاع إضافة إلى وظيفته الجماليّة،" قد يحْمِل مِنَ الشّحن المعنويّة باعتباره دالًّا ما لا يحمله المدلول نفْسُه" [33]. وبناء العمل الفنّي إبداع يَتَحقّق بِتَلاحم الشّكل مع المضمون

وتَداخُل الدّلالة مع الإيقاع ، وتَفاعُل عناصر اللّغة بعضها ببعض ، لأنّ كلاّ منهما ، أي الإبداع واللّغة ظاهرة مرُكّبَة وعمليّة مُعَقَّدة .

فالضّدّ ـ إذن ـ وسيلة إقناع فعّالة، وعنصر حجاج بارز من خلال بلاغته وتَفاعُلِ المتناقضيْن ، فيُلقِيَان بأثَرِهما على المتلقّي بِكلّ ما يحْمِلانه مِن شُحنات مؤثّرة، وإيقاع موسيقي، فتتفجّر المعاني وتتميّز جليّةً ويسْهل فهْمُها ، ويظهر الجمال وتُنْتَج الدّلالةُ .

5 ـ دَوْرُ الضّدّ فِي التَّمَاسُكِ النّصّي في القرآن الكريم:

أ ـ الضدّ والتناسب والتماسك :

مصطلح (التّناسب)عرَفَته الدّراساتُ في بلاغة القرآن الكريم منذ القديم، والمقصود به ارتباطُ السّورِ فيما بينها من جهة، والآيات ضمن هذه السّور من جهة أخرى[34]، وبكيفيّة من التّماسك وتلاحم الأجزاء. ولعلّ أوّل من سبق إلى هذا العلم هو أبو بكر النيسابوري (ت324هـ)[35]. وقد ألّف فيه العلماء أمثال:ابن الزبير الغرناطي(ت 708هـ)، وبرهان الدين البقاعي(ت885هـ)، و جلال الدين السّيوطي (ت911هـ) وغيرهم. ويرى الزركشي أنّ فائدة التناسب هي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ، وتتلاءم الأجزاء. فأكثر لطائف القرآن مُودَعة في الترتيبات والروابط[36]. ما يكون له فائدة في تماسكه ، وبلاغته وجمالياته وتجلية معانيه، وفهْم مراميه. فقد أجمع العلماء والأدباء على أنّ التناسب من أهَمّ عناصر الجمال، وأبرز شروط الفصاحة في التّعبير اللّغويّ وفي إعجاز القرآن الكريم[37].

والتّناسب يقتضي وجود علاقة بين المتناسبيْن ، والضّدُّ مِنْ بين أنواع هذه العلاقات التي تؤدّي إلى تماسك أجزاء النّص . ومنْ ثمّ فالتّناسب آليّة من آليات التّماسك النّصي ، وله علاقة وثيقة به . يقول صبحي الفقّي عن رأي العلماء في التّناسب: " أنّهم لم يشيروا إليها على أنّها وسيلة من وسائل التّماسك النصي ... ولكنّنا هنا نضيف وسيلة المناسبة ؛ إذ أنّها تمثّل وسيلة من أهمّ وسائل التّماسك النّصي؛ شكليّا ودلاليّا"[38].وإذا كانت وسائل التّماسك النّصي كثيرةٌ ومتنوّعة، وقد بَيّنَها العلماء ، ولسْنا في مقام تعدادها وشرحها[39]، فإنّ ما يهمّنا هنا هو علاقة الضّدّ، موضوع بحثنا .

اتّفق القدماء على أنّ الضّدّ أحد وسائل التّناسب والتّماسك ، فأشاروا إليه في حديثهم عن الرّبط بين المعاني. فمن ذلك يقول ابن سنان الخفاجي (ت466هـ):" فأما تناسب الألفاظ من

طريق المعنى فإنّها تتناسب على وجهين أحدُهما أنْ يكون معنى اللفظتين متقاربا والثاني أن يكون أحد المعنيين مضادّا للآخر أو قريبا من المضادّ، فأمّا إذا خرجت الألفاظ عن هذين القسمين فليست بمتناسبة"[40]. وقد ذكر السّيوطي أنّ من أسباب الرّبط التّقابل المبنيّ على الضدّ[41]، وهو ما رآه المحدثون ـ أيضا ـ .

من ذلك فقدْ تحدّث صلاح فضل عن الروابط البلاغيّة التي هي نمط وظيفي من أنماط التماسك النّصي، كثيرا ما يلجأ إليه المتكّلمون لأسباب إستراتيجيّة، ومنْ بينها التّضاد. وبالمقابل فقدْ انْتقد البحوثَ البلاغيّةَ القديمة التي لم تتعدّ النظرة الجزئيّة المحدودة، دون أنْ تتجاوز إلى النّطاق الدّلالي للفقرة الكاملة[42]. وقد بيّن جميل عبد المجيد دوْرَ عناصر البديع في سبْك النّص وحبكه، التي من بينها علاقة الضّدّ، متمثّلةً في الطباق والمقابلة كلَوْنيْن مستقلّيْن أو ضمْن عناصر البديع الأخرى كالعكس والتّبديل والجمع والتقسيم التي هي ـ أيضا ـ تعتمد على علاقة الضدّ[43].

من ذلك ـ أيضا ـ يرى محمد العمري أنّ التّناسب ينْصَرِف إلى وجود طرفين متجاورَيْن دلاليّا وصوتيّا، والضّد عنده من أنواعِ تناسبِ الألفاظ من جهة المعنى، وهو تناسب دلالي[44]. إضافة إلى ذلك، فقد " اهتمّت نظريات نقديّة كثيرة بالضّدّ وجعلته عنصرا مهمّا من عناصر الشّعر الأساسيّة بِصَرْف النّظر عمّا يؤدّيه من اختلاف أو ائتلاف ، يشكّلان ـ في نهاية الأمر ـ بناء فنيًّا مترابط الأجزاء"[45].

فالضّدّ من مظاهر التناسب والتماسك في القرآن الكريم ، حيث أنّه يجمع بين المعاني، وإنْ كانت متخالفةً ومتضادّةً ، " فعلاقة الضدّية هي التي تبيح التماسك"[46] ، والضدّية لا تعني الانفصال والتّباعد، ولا تمْنَع الصّلةَ والرّبطَ بين المعْنَيَيْن ، والألفاظ والمعاني تَتَفاعل داخل السّياق في تنظيم مّعقّد، وفي شبكة علاقات متنوّعة . وإنْ كان بعضُ هذه العلاقات متضادّا متنافرا، لأنّ بين المعنى وضدّه علاقةً، والمعنى يستدعي ضدّه . هذا الاستدعاء يزيد في جمال الكلام وبلاغته ، ويكْشف علاقاته داخل النصّ، ويُحقّق التّماسك، فضلا عن تجليّة المعنى. " فكلّ نسق يقف مقابل نسق آخر تضادّا وتشاكلا، لينتهي إلى التّآلف والتّكامل والتّناغم في وحدة منسجمة"[47]. ولعلّ هذا الدّورَ الذي يقوم به الضّدّ هو تفسيرٌ وتبريرٌ لكثْرته في القرآن الكريم .

ومن ثمّ " فالتّناسب قرين الوحدة، فهو حالة من التناغم بين العناصر تضمّ المؤتلف والمتباين وتوقع التّشابه بين ما يبدو مختلفا للوهلة الأولى"[48]. فعلاقة الضّدّ من بين الرّوابط التّي تحقّق

التّماسك النّصّي، لأنها الجهة الجامعة بين المتقابلين[49]. هذا الدّور الرّابط والجامع جعل" العمل الأدبي الحديث يكاد يُفرّغ بنية التقابل من ضدّيتها ، ويجعلها خالصة للتّناسب"[50] والتآلف؛ لأنّ الضّدّ لا يكون إلا بانعقاد الصّلة التّركيبية بين طرفيه ، وتظهر قيمة ثالثة متولّدة من اجتماع هذين الطرفين المتقابلين ، فتثير وتحرّك مشاعر المتلقّي ، و يتضاعف التّمتّع بالقيمة الجماليّة [51]. ومن ثمّ فقدْ قدّم التناسب للدّرس النصّي منظومة علائقية التقى فيها الجزئي مع الكلّي والدّلالي الموضوعي مع الصّوتي الموسيقي، والتقوا جميعا مع البناء الشّكلي الخالص[52].

إذن فعلاقة الضّدّ ــ كما سبق ـ اهتمّ بها القرآن الكريم، وهي منتشرة في ثنايا آياته وسُوَره ، فتكون بين آيات السّورة الواحدة ، كما تكون بين السّورتين المتجاورتين، وتتجاوز ذلك إلى السّور المتباعدة وإلى القرآن الكريم كلّه ، فتُعطينا فكرةً واضحة عن تماسكه .

ب ـ دور الضّد في التماسك في السّورة الواحدة :

تتشابك آيات وأجزاء السّورة الواحدة ، وتتعانق بدايتُها مع نهايتِها عن طريق علاقة الضّدّ لتحقيق التّناسب والتّماسك ، وخدمة موضوعِها والوصول إلى أغراضِها . من ذلك ما نجده بين بداية سورة (المؤمنون) ونهايتها ؛ فقد قارن الزمخشري بين الآية الأولى منها، وهي: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾المؤمنون 1، والآية الأخيرة وهي: ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكافِرُونَ** ﴾ المؤمنون 117، ليرى بينهما تناسبا، وعلّق بقوله: " شتّان ما بين الفاتحة والخاتمة "[53]، أي بين فلاح المؤمن وعدم فلاح الكافر. وما أظهر التناقض والتباعد بينهما هو وجود علاقة الضدّ في السورة ، واجتماعهما في سياق واحد ، فيُحقّق ذلك غايةَ السورة ." فالعلاقة بين البداية والنهاية تتأسّس على الإثبات القاطع بفلاح المؤمنين والنفي القاطع بعدم فلاح الكافرين . وما بين الإثبات في الصدر والنفي في العجز تترسّخ قيمة الفلاح وأهميته، ويترسّخ في النفس سبيلها الوحيد"[54]، فكانت قضيّة الفلاح هي المحور الدّلالي الذي ربط بين المقدّمة والخاتمة ، لكنّه بفارق بين الإثبات والنفي[55] .

ومن أمثلة ذلك أيضا ما نجده في سورة (عبس)، حيث خُتِمَت بتقابل سريع بين نوعين متضادّين من الوجوه يوم القيامة عند مجيء الصّاخة، وهو يومُ هُروبٍ وفرارٍ وانقسامِ الناس صنفين: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبَرَةٌ تَرْهَقُها قَتَرَةٌ أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ** ﴾ عبس: 38 – 42 . ذلك لأنّ من أغراضها التنويه بضعفاء المؤمنين وعلوّ قدرهم، وأنّهم أعظم عند الله من أصحاب الغنى الذين فقَدوا طهارة النّفس، وأنهم أحرياء بالتّحقير

والذّم، وأنّهم أصحاب الكفر والفجور. وتبيين اختلاف الحال بين المشركين المعرضين عن هدْي الإسلام وبين المسلمين المقبلين على تتبّع مواقعه[56]. وما برّر هذا التّقابل بين الضّدّين هو أنّها انطلقت من بدايتها به عند المقارنة بين صنفين مختلفين، يقول تعالى: ﴿ **أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَما عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى وَهُوَ يَخْشى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى**﴾عبس 5 ـ 10." فهذه السّورة أقيمت على عماد التّنويه بشأن رجل من أفاضل المؤمنين والتّحقير لشأن عظيم من صناديد المشركين"[57]. هذا الرّجل هو ابن أم مكتوم الذي يمثّل الوجوه الضّاحكة المستبشرة ، أما مَنْ يمثّل الوجوه التي عليها الغبرة فهُم كفار قريش .

فبدأت السّورة بالتّقابل بين الصّنفين المتضادّين وانتهت به، فربطت بين البداية والنهاية ليكون ما بينهما في ثنايا السّورة، في خدمة هذا التّقابل وخدمة غرضها العام، وتكون هذه النّهاية التّقابليّة خلاصة ما قُدّم في السّورة، وتبيّن صِفةَ كلّ صنْف، وأنّ اختلافهما في الآخرة سَبَبُه اختلافِهما في الدّنيا، خاصّة أنّها أضافت مُصرِّحة ﴿**أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**﴾ عبس 42،"زيادة في تشهير حالهم الفظيع للسّامعين"[58]. ويظهر من خلاله التّباعُدُ بينهما، فيستفزّ الإنسان ويحمله على اختيار أفضلها، والنّفور من الآخر، وتكون السّورة كتلةً متماسكة من أجل غرضها، ومنْ أجل ما أرادت الوصول إليه. ففي تضادّ البداية والنّهاية إيحاءٌ بتماسك السّورة كلّها وتلاحمها، ووحدتها الفنيّة رغم تعدّد موضوعاتها .

وقد ذكر الصابوني وغيرُه مقابلةً لطيفةً في سورة (الكوثر)؛ بين أوّلها وآخرها ، بين « الكوثر» و« الأبتر»؛ فالأولى بمعنى الخير الكثير، والثّانية المتقطّع ذكره وخيره الذي لا يذكر إلا بالخزي واللّعنة [59].

وإذا كان ما سبق صحيحا، فإنّه غيْر كافٍ ، كونه نظرةً جزئيّة تكتفي بآية أو آيتين من السورة، أو هي مقتصرة على البداية والنّهاية ، ولا تُقدِّم الصّورةَ مكتملةً ، لأنّه " لا تكتمل ملامح الدّرس النّصي في علوم القرآن إلا بالوقوف إزاء المستوى الثاني من التّناسب الكلّي ، الذي يُعنى بالبحث عن العلاقات بين سورتين أو أكثر من سور القرآن، تجمعها هذه العلاقة أو تلك ، الأمر الذي يكشف عن مفهوم نصّي غاية في التطور"[60].

لذلك لا تقتصر علاقة الضّدّ في القرآن الكريم على هذا، بل ورَدَتْ ـ أيضا ـ بين فقرات وأجزاء السّورة على نطاق أوسع، فتجدها بين فقرتين متضادّتين؛ من ذلك مثلا في سورة (الزمر)

بين "الذين كفروا"و"الذين اتّقوا ربّهم"،وفي سورة (الغاشية)،بين "أصحاب الوجوه الخاشعة"و"أصحاب الوجوه الناعمة"، وفي سور(البينة والزلزلة والقارعة) وغيرها كثير ، أو تمتزج فيها المتقابلات عن طريق ثنائيات ضدّيّة مثل سورة (الشمس)... فالسّورة نَصٌّ ، والنّصُ الأدبي عامّة " يتألف مِنْ عدد ما من العناصر، تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخليّة التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتّماسك بين تلك العناصر"[61].

كلّ هذه المتضادات تُسهم في تلاحم أجزاء السّورة وتماسكها . فالكلمات والمعاني يدعو بعضُها بعضا ، والمقابِل أكثر ما يستدعي مقابِلَه ، لأنّ الضدّ بالضدّ يُذكر، " فبعض الكلمات تسعى لتلتحم فيما بينها أكثر من أخرى، وذلك إمّا لأنّ في تجمّعها شيئا لافتا للانتباه أو لأنّها تعبّر عن فكرة أثّرت فينا تأثيرا خاصّا"[62]. ففي تجمّع المتضادّيْن انعقادُ الصّلة بينهما، فيكون الرّبط بين المتناقضين أو المتباعديْن ، وتكون الجماليّة ويتحقّق التأثير.

وهذا نموذج لسورة "المطففين" كاملةً، يُبيّن تماسكها عن طريق الضدّ، سنقدّمها باختصار، لأنّ الطول هنا لا يسع إليه المقام:

﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ(1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6) كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (7) وَما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ (8) كِتابٌ مَرْقُومٌ (9) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَما يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذا تُتْلى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلاَّ بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ (14) كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (15) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصالُوا الْجَحِيمِ (16) ثُمَّ يُقالُ هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (17) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (18) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (19) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (21) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (24) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (25) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (27) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (28) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (32) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)**﴾.

موضوع سورة (المطففين) هو حالة الكفار والمؤمنين يوم القيامة ، وهي نتيجةٌ لما كانوا عليه في الدنيا ؛ تكذيبا وإيمانا ، لذلك فقد بُنِيت السورة كاملة على التّضاد والمفارقة بين الفريقين، ما جعل مقاطعَها متماسكةً، يشدّ بعضُها بعضا ، يناسب المقطعُ منها الآخر.

ويمكن أن نقسّمها إلى المقاطع الآتية :

- المقطع 1: الآيات (1 إلى 6): تمهيد لموضوع السورة .
- المقطع 2: الآيات (7 إلى 17): حالة الفُجَّارِ يوم القيامة.
- المقطع 3: الآيات (18 إلى 28): حالة الأبرار يوم القيامة.
- المقطع 4: الآيات (29 إلى 36): بين الفريقين؛ الفجّار والأبرار.

فمن أغراض سورة " المطفّفين" التَّحْذِير مِنَ التَّطْفِيفِ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ وأَكْلِ مالِ الغير؛ لأنّ النّاس سَيُحَاسَبُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يوم وُقُوفهم عِنْدَ رَبِّهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَوَعِيدُ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ وَبِالْقُرْآنَ الكريم . وَقُوبِلَ حَالُهُمْ بِضِدِّهِ مِنْ حَالِ الْأَبْرَارِ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَرَفْعِ دَرَجَاتِهِمْ وَإِعْلَانِ كَرَامَتِهِمْ وَذِكْرِ صُوَرٍ مِنْ نَعِيمِهِمْ.وَانْتَقَلَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى وَصْفِ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الزَّائِلِ؛ إِذْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسْخَرُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَسْتَضْعِفُونَهُمْ وَكَيْفَ انْقَلَبَ الْحَالُ فِي الْعَالَمِ الأبدي[63].

فقد بدأها بتمهيد، تضمّن دعاء بالويل والهلاك للمطفّفين في الكيل والوزن، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ولا يؤمنون بيوم القيامة. ومن خلاله انتقل إلى الحديث عن حالة الفريقين في هذا اليوم؛ الفجّار والأبرار ، وكأنّه يعْقد مقارنة ليبيّن المفارقة الشاسعة بينهما. فإذا كان الكفار في الدنيا يضحكون من المؤمنين، ففي هذا اليوم انقلب الحال، وأصبح الضاحكُ مضحوكًا منه، والعكس. وفي عقْد هذه المقارنة عقدٌ للمعاني المتضادّة وربْط بينها. وما يُبيّن هذا التماسك ، هو البداية المتشابهة بين المقطعين المتضادّين:

المقطع 2:﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ**(7) **وَما أَدْراكَ ما سِجِّينٌ**(8) **كِتابٌ مَرْقُومٌ**(9) ...﴾.

المقطع3:﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ**(18) **وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ**(19) **كِتَابٌ مَرْقُومٌ**(20)...﴾.

اعتمدت البدايتان اعتمادا كليّا على التكرار، ما جعل الفرقَ بينهما يسيرا، لكنه كان هامّا وأساسا في إحداث الفارق وإبراز المخالفة بينهما؛ لأنّه بين كلمتين متضادّتين؛ (سِجِّينٍ) "مأخوذ من السّجن وهو الضيق[64]"،و(عِلِّيِّينَ)" مكان عالٍ مشرَّف في أعلى الجنة"[65] ، والفرق بين

الموضعين شاسع. فقد جمَعت الآيات التّخالُفَ الدّلالي والتّماثلَ الصّوتي الذي يُفاجِئ ذهْنَ المتلقّي. وما يُثبِت الربط والتماسك بين الجزئين هنا، إضافة إلى الضدّ هو تكرار البدايتين. عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتابَ الْأَبْرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾، يقول ابن عاشور: " فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِحَذَافِرِهَا تُشْبِهُ جُمْلَةَ: ﴿إِنَّ كِتابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ...﴾ أُسْلُوبًا وَمُقَابَلَةً. فَالْوَجْهُ أَنْ يَكُونَ مَضْمُونُهَا قَسِيمًا لِمَضْمُونِ شَبِيهِهَا فَتَحْصُلُ مُقَابَلَةُ وَعِيدِ الْفُجَّارِ بِوَعْدِ الْأَبْرَارِ وَمِنْ عَادَةِ الْقُرْآنِ تَعْقِيبُ الْإِنْذَارِ بِالتَّبْشِيرِ وَالْعَكْسُ لِأَنَّ النَّاسَ رَاهِبٌ وَرَاغِبٌ فَالتَّعَرُّضُ لِنَعِيمِ الْأَبْرَارِ إِدْمَاجٌ اقْتَضَتْهُ الْمُنَاسَبَةُ"[66]. فالضّدّ عنصر فعّال في نماء النص وبلاغته؛ حيث يوضّح معانيه ويجلّيها، ويلقي بظلاله على جوّ السورة، فيَسحَر متلقّيه بعلاقاته المتشابكة ومعانيه المتباعدة .

ج ـ دور الضّد في التماسك بين السّوَرتين المتجاورتين :

إنّ التّجاوُرَ بين السّور القرآنية مبنيّ على أسُس مضبوطة ومعايير دقيقة، مرتبطة بموضوع كلّ سورةٍ وسياقها، ونفسيّة المتلقّي، خاصّة أنّ هذه السّور تُشكّل حلقات متّصلة ذات أشكال مختلفة ضمن سلسلة النصي القرآني كلّه .

من ذلك فقدْ لاحظ العلماء أنّ هناك صلةً بين السّورة القرآنية وما قبلها ، وما بعدها . هذه الصّلة قد تكون بين نهاية الأولى وبداية ما بعدها، يقول الزركشي:" إذا اعتبرت افتتاح كلّ سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السّورة قبلها"[67]. والضّدّ ـ كما سبق ـ أحدُ أوْجه هذه المناسبة . من ذلك بيْن نهاية سورة (الإسراء) وبداية سورة (الكهف) تظهر علاقة الضّدّ واضحةً، حيث تنتهي الأولى بقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا**﴾ الإسراء: 111. وهو أمْرٌ وحثٌّ على الإقرار بذلك ، وتبدأ الثانيّة بقوله تعالى: ﴿ **وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾ الكهف: 4، وهو إنذار لمن لا يعترفون، ورَدٌّ عليهم . وهي علاقة تُبيّن مدى اختلاف العقيدتيْن ، ومدى اختلافِ مصيرِ أصحابِ كلٍّ واحدة .

وعلاقة الضّدّ في سور القرآن الكريم تتجاوز ارتباط بدايةِ السّورة بنهاية ما قبلها ، إلى ثنايا هذه السّور . من ذلك ما ذكره السّيوطي في وجه اتّصال سورة (المنافقون) بالسّورة التي قبلها وهي (الجمعة) ، حيث أنّه ذكر في الثانية المؤمنين ، وذكر في الأولى أضدادهم وهم المنافقون . ولهذا أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة (الجمعة) يُحَرض بها المؤمنين، وبسورة (المنافقين) يُفْزع بها المنافقين[68].

حيث تكاد الثانية تكون مقصورةً على الحديث عن المنافقين ، والإشارة إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم . وهي تتضمّن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين، ومن اللّؤم والجبن وانطماس البصائر والقلوب[69]. والأولى تعالج أنْ تقرّ في أخلاد الجماعة المسلمة في المدينة أنّها هي المختارة أخيرا لحمل أمانة العقيدة الإيمانيّة . وأنّ هذا فضل من الله عليها وأن بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ العربيّ منّة كبرى تستحقّ الشّكر، وتقتضي نهوض المجموعة المؤمنة، وحملها الأمانة . وفي الوقت ذاته تعالج بعض الحالات الواقعة في تلك الجماعة في أثناء عملية البناء النفسي، والتي تُعيقُها عن الأمانة الكبرى مثل الحرص والرّغبة في الرّبح، وحبّ المال[70]. وهو ما يُظهِر التّضاد بين موضوعَيْ السّورتين .

وقد ذكر بعضهم أنّ من لطائف سورة (الكوثر) والتّماسك العجيب فيها ، أنّها كالمضادّة للّتي قبلها ، وهي سورة (الماعون) ؛ لأنّ السّابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة: البخل، وترك الصلاة، والرّياء فيها، ومنع الزّكاة . فذكر في (الكوثر)، في مقابلة البخل ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ الكوثر:1، أيْ الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿ **فَصَلِّ**﴾ الكوثر:2 ، أي دُمْ عليها، وفي مقابلة الرّياء ﴿ **لِرَبِّكَ** ﴾الكوثر: 2 ، أي لرضاه لا لمراءاة النّاس، وفي مقابلة منع الماعون ﴿**وَانْحَرْ** ﴾ الكوثر: 2؛ وأراد به التصدّق بلحم الأضاحي[71] . ومنْهم مَن قابل بين التكذيب بالدّين في قوله : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ** ﴾ الماعون:1، وقوله : ﴿**إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ الكوثر:1، ذلك لأنّ أشهر معنى للكوثر أنّه نَهْر في الجنّة ، وهذا يقتضي الإيمان بيوم الدين[72].

وقد عدّ بعض المفسرين أنّ سورتي (قريش والفيل) سورةً واحدة ؛ لأنّهما متّصلتان في المعنى . فقد أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، أي لتأتلف، أو لكي تأمن قريش فتؤلف رحلتيها[73]. وهو تذكير لأهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعَل بالحبشة من انتقام، بمعنى: أهْلَك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش[74]. فقدْ كان شبه الجزيرة غير آمن، لكنّ جوار البيت كفَل لقريش الرّزق والأمن. وهي تفسيرات تَعتبِر السّورتين سورةً واحدة باعتبار التّناسب المبنيّ على التّضاد بينهما؛ فقد بُنيت سورة (الفيل) على الهلاك والنّقمة والتدمير ، وبُنيت سورة (قريش) على النّفع والأمن والنعمة والتعمير .

أما سورة (الواقعة)، فقد رآها السيوطي متآخية متّحِدة مع (الرحمن) كأنّهما سورة واحدة؛ في أنّ كلا منهما في وصف القيامة والجنّة والنار، حتى أنّه في سورة (الواقعة) اقتصر على ذكر الأرض في قوله:﴿**إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا** ﴾ الواقعة 4، وفي سورة (الرحمن) اقتصر على ذكر السماء في قوله:﴿ **فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ** ﴾ الرحمن37. ولهذا ذكر في أوّل هذه ما ذَكَرَه في آخر تلك، وفي آخر هذه ما ذَكَرَه في أوّل تلك[75]. وهي رؤية لا تكتفي ببعض الآيات في السّورتين، بل تتعدّى إلى موضوعَيْهما كامليْن .

وهو ما رآه المحدثون ـ أيضا ـ ، حيث تجاوزوا النظرة الجزئيّة، فربطوا بين السّورتين كاملتيْن. لأنّ الموضوع قد يكون السرّ في مجاورة السّورتين المتضادّتين. من ذلك سورتا(الإنسان) و (المرسلات)؛ فالأولى تكاد تكون خالصة للبشارة والأمل إلاّ في نصّ قصير؛ يُرهِب ويُوعد، كما أنّ الثانية تليها مُتَحَدِّثة عن الزّجر والتّهديد إلا في نصّ قصير ؛ يبشّر ويرحّب. فالقارئ المطيع يجد ما تشتهيه النفس، ويكون بعيدا عن جوّ التّخويف في السّورة الأولى. كما أنّه إذا تورّط في المعصيّة فإنّه مع الثانية في جوّ رهيب منذر ويُريه مصيره في الجحيم. فيكون تجاوُرُ السّورتين والمشهدان المتقابلان معبّريْن وحاسميْن ونافذيْن في الإقناع والتّأسي[76]. وبِجمْع السّورتيْن يَتَسَاوى طرَفَا التّضاد، ويتساوى الوَعْدُ والبشارة من جهة، والوعيد والزَّجْر من جهة أخرى، وتكون كلّ سورة مُكَمِّلة للأخرى ومُساعِدة لها، ومتماسكة معها، وكأنّهما سورة واحدة ، خاصة أنّ طرفي التضادّ في القرآن الكريم يكونان على طرفيْ نقيض، والتضاد "كلّما كان حادا، كان أكثر قدرة على الربط النصي"[77]. وفي الوقت ذاته يجد القارئ تنوّعا يُبعِد عنه الملَل. وعن سرّ ذلك يقول الألوسي في سورة (المرسلات):" هذا ولما أوجز في سورة الإنسان في ذكر أحوال الكفار في الآخرة وأطنب في وصف أحوال المؤمنين فيها عكَس الأمرَ في هذه السّورة فوقَع الاعتدال بذلك بين هذه السورتين"[78]. وهو ما رآه ـ أيضا ـ أبو حيان الأندلسي في نصٍّ يشبُه ما أورده الألوسي[79].

وبذلك يخلق القرآنُ الكريم للإنسان التّوازنَ، ويَجْعَله في اتّصال دائم بهذه المتضادات ، فيكون كجناحَيْ طائر يتَأَرْجَح بين الرّجاء والخوف، الأمل والألم، التّبشير والتّنذير... فتَتَحقَّق بالتالي الغايةُ المرْجُوّة . فبِناء السّورة الواحدة على الوعد كلّه، أو الوعيد كلّه، يُفقِد الإنسانَ هذا التّوازن ، ويؤدّي إلى إهمال الثاني ونسيانه ، فلا تتحقّق ـ بالتالي ـ الفائدة من السّورة، ولا تظهر الحكمة .

يقول إبراهيم الفقّي: " أن المناسبة بين السّورة الكاملة وغيرها من السّور الكاملة قد تكون بينهما علاقة المقابلة أو غيرها . وهذا يسهم في إيضاح التماسك النّصي بين أكثر من سورة "[80].

ومن ذلك ـ أيضا ـ أنّ بين (الملك) و(الجنّ) ـ وهما سُورَتان مُتجاورَتَان ـ نرى تناسبَ التّضاد بين الموقفَيْن ؛ فإذا كان قوم نوح ـ عليه السلام ـ بعد هذا الطريق الطويل من الدّعوة ، لم يزدْهم هذا إلّا إعراضا واستكبارا . فإنّ الجنّ كانت خلاف ذلك ؛ فلم يمْلك هذا النّفر بعد سماعهم آيات القرآن الكريم إلّا الإيمان به ، بل الذّهاب بالبشرى لبني جنسهم[81].

د ـ دور الضّد في التّماسك بين السّوَر القرآنيّة :

إذا كان التماسك عن طريق التّضاد يظهر بين السّورتين المتجاورتين ، وقبله بين بعض آيات السورة الواحدة أو السّورتين المتجاورتين، فهو يقدّم صورة واضحة عن تماسك القرآن الكريم كلّه، ذلك لأنّ هذه السّور الثنائيّة تشكّل علاقات متسلسلة تتشابك عبر القرآن الكريم كلّه ، بناء على أنّ السورة متماسكة بعلاقة الضدّ بين ما قبلها وما بعدها . و"على هذا النّحو يمكن أنْ يشبه النّص القرآني بسلسلة تَنْشَدّ حلقاتها بعضها إلى بعض ممّا يضمن تلاحمه كنصّ لا تني العلاقات بين أجزائه تتقوّى كلّما تقدّمنا في قراءته"[82]. فالقرآن الكريم وإنْ كان مُجزَّءا إلى سُوَر منْفصلة ، وبأسماء خاصّة ، فهو بعلاقاته المتشابكة نصّ واحدٌ ، يشدّه خيط واحدٌ، في اتّجاهِ غايةٍ واحدةٍ ، وبِوحْدة متكاملة . هذه الأخيرة تنشأ من التّناسق، كما يمكن أنْ تنبني على مجموعة من الأضداد اللّغويّة [83]. ولعلّ ما يؤكّد ذلك أكثر أنّنا نلحظ التّضاد بين بعض أسماء سور القرآن الكريم أمثال: (الشمس والليل)، (المؤمنون والكافرون)، (الجنّ والإنسان أو الناس)،(المنافقون والإخلاص)، (الفجر والعصر)... وهي سُوَر غير متجاورة. وكما هو معلوم أنّ " عنْونَة النّص تعني بالضّرورة تفسير له، أو تقديم رؤية له أو عنه ، والعنوان يجب أن يدلّ بشكل أو آخر على نصّه"[84].

فالتّضاد، وإنْ كان يُظهر جدليّة بين طرفيه وتناقضا، فإنّه في أصله التحام وتبادل بين هذين الطرفين، وتفاعل بينهما، لإقامة علاقة جديدة تُلقي بظلالها على السّياق، فتتفاعل من خلالها جزئيات النّص، وتتشابك علاقاته ويتفعّل إطاره العام جماليّا ودلاليّا .

فالتّضاد أسلوب تعبيريّ هامّ له دورٌ كبير في الرّبط بين أجزاء النّص القرآني. وهو يتطوّر من كلمات إلى تراكيب إلى موضوعات، فيعمّ مساحة كبيرة من السّورة، أو يعمّها كلها. ويتجاوز ذلك إلى السّورتين المتجاورتين أو حتى المتباعدتين، وإلى القرآن الكريم كلّه ، حتى أنّ بعضهم يرى

السّور" كأنها استكمال لبعضها بعضا أو كأنّها سورة واحدة اتّخذت فصولا وأبوابا"[85]، وحتى أنّنا لو جمَعْنا موضوعاته وقضاياه المتناثرة في سُوَره لوجدناها متقابلة متضادّة ، كموضوعات الإيمان والكفر، وصفات المؤمنين والكافرين، والجنة والنار، ومشاهد النّعيم والجحيم ... وبين المتضادّيْن علاقةُ تآلفٍ وتناسبٍ وتماسكٍ .

خاتمة

نخلص في الأخير إلى أنّ الوجود مبنيّ على التّضاد، والطبيعة البشريّة قائمة عليه ، ولا يمكن أن نتصوّر حياةً بدونه . وقد اهتمّ القرآن الكريم بعلاقة الضّدّ اهتماما كبيرا، فلا يكاد يكون موْضع تنعدم فيه؛ فهو كثيرا ما يتعمّد الرّبطَ بين الحالات المتنافرة، والنّماذج المتناقضة، والموضوعات المتضادّة . وفي هذا الرّبط بلاغة جليّة، وفوائد متعدّدة، من خلال تسليط الضّوء على المفارقة والتّنافر بين المتناقِضَيْن، وتنبيه الذّهن إليهما، وتَوْضيح المعاني وتسهيل فهْمِها، وتحقيق جماليّة التعبير، وإحداث الدّهشة لِلمتَلقّي والتّأثير فيه وإقناعه .

وفي الوقت نفْسِه، فالرّبط بين المتضادّيْن في السياق الواحد يُحقّق التّناسب بينهما ، وإنْ كانا متخالفيْن ، لأنّ الضّدّ يستدعي ضدَّه ويتّحد معه ، ويشكّلان كتلةً واحدةً بين آيات السّورة الواحدة ، و بين آيات السّورتين المتجاورتيْن ،وبين السّور المتباعدة ، ما يجعل النّصَّ القرآني كلًّا متماسكا. فموضوعات القرآن الكريم متكاملة يخدم بعضها بعضا ،كما أنّ أجزاء الموضوع الواحد المتناثرة في السور تكمّل بعضها البعض، متشابكةً نحو هدف واحد، وغاية واحدة، وهي إسعاد الإنسان في الدارين.

هوامش :

[1]. محمد الواسطي، ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، دراسة بلاغية نقدية، دار نشر المعرفة، الرباط ، المغرب ، ط1، 2003، ص 234 .

[2]. ينظر: شلتاغ عبود، أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم،دار المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم، بيروت، ط1 ،2003، ص231 .

[3]. الجاحظ ، كتاب الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دون دار نشر ، ط2، 1965، 1 / 204 .

[4]. ابن قتيبة ،تأويل مشكل القرآن ، تح أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، د ط ، د ت ، ص87 .

[5]. ينظر: لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط3 ، 1414 هـ مادة (ضدد)، 3/ 263 .

[6]. ينظر: الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط8 ، 1426 هـ - 2005 م ، ص 295 .

[7]. أبو هلال العسكري ، الفروق اللغوية، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة ،د ط، د ت ، ص157.

[8]. الشريف الجرجاني ، التعريفات ، تصحيح: جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1403هـ -1983م ، ص137 .

[9]. ينظر: منى الساحلي ، التضاد في النقد الأدبي مع دراسة تطبيقية من شعر أبي تمام ، مخطوط الإجازة العالية في الأدب العربي ، السنة: 1993، قسم اللغة العربية ،كلية الآداب والتربية ، جامعة قاريونس ، الجماهيرية العربية الليبية ، ص7 . عاصم محمد أمين ، لغة التضاد في شعر أمل دنقل ، دار صفاء ، عمان الأردن ، ط1 ، 2005، ص 28 وما بعدها .

[10]. ينظر: ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تح: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، 1399هـ - 1979م ، 5 / 320 .

[11]. ينظر:الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998م مادة (مسك)، 2 /213.

[12]. ينظر: الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة ، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط8 ، 1426 هـ - 2005 م ، ص953 .

[13]. صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النص النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء ، القاهرة ، ط1، 2000 ، 96/1 .

[14]. ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النص النظرية والتطبيق ، 1 / 96 .

[15]. ينظر: عبد الرزاق نوفل، الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون، الجزائر، ط3، 1989 ، 1/ 13 وما بعدها . فاضل السامرائي، التعبير القرآني ، دار عمار، عمان، الأردن، ط3، 2004، ص 12.

[16]. ينظر: محمد عبد المطلب ، بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، ص 149 .

[17]. ينظر: عاصم محمد أمين ، لغة التّضاد في شعر أمل دنقل ، دار صفاء ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2005 ، ص 43 .

[18]. ينظر: عاصم محمد أمين ، لغة التضاد في شعر أمل دنقل ، ص 44 .

[19]. ينظر: إبراهيم رماني ، الرمز في الشعر العربي الحديث ، مجلة اللغة والأدب ، معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر، العدد: 02 ، د ت ، ص 78 .

[20]. علي عشري زايد ، عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 5 ، 2008 ، ص 130 .

[21]. ينظر: مصطفى السعدني، البناء اللفظي في لزوميات المعرّي دراسة تحليليّة بلاغيّة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د ط ، د ت ، ص 100 وما بعدها .

[22]. عثمان حشلاف، التراث والتجديد في شعر السياب، دراسة تحليليّة جماليّة في مواده صوره موسيقاه ولغته، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ، 1986 ، ص 114 .

[23]. عبد الله النقراط، بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم ، دار قتيبة ، دمشق ، ط1 ، 2002 ، 1 / 1061 .

[24]. ينظر: أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ، دراسة في النظم المعنويّ والصّوتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1992 ، ص 155.

[25]. محمد ديب الجاجي،النسق القرآني دراسة أسلوبية،شركة دار القبلة،جدة، السعودية، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط1 ، 2010 ، ص676 .

[26]. ينظر: محمد كريم الكوّاز، كلام الله ، الجانب الشفاهي من الظاهرة القرآنية ، دار الساقي، بيروت ، ط1، 2002، ص 42.

[27]. شلتاغ عبود ، أسرار التشابه الأسلوبي ، ص232.

[28]. ينظر: عبد العزيز عتيق ، علم البديع ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1، 2006 ، ص63 .

[29]. عبد الله الجربوع ، الأمثال القرآنية ، عمادة البحث العلمي، المدينة المنورة، السعودية ، 3/ 1084.

[30] ينظر: عبد العظيم المطعي، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1، 1992، 2 / 270 .

[31]. حسين بوحسون ، أسلوب التقابل ودلالته في المقال الأدبي الإصلاحي في الجزائر، مجلّة دراسات جزائرية ، يصدرها مخبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران ، العدد: 4 / 5 ، السنة: 2007 ، ص129.

[32]. طالب محمد الزوبعي ، ناصر حلاوي، البلاغة العربية البيان والبديع، لطلبة قسم اللغة العربية،دار النهضة العربية،بيروت ،ط1 ،1996 ، ص 139 .

[33]. عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية عن منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، تونس ، منوبة ، الجمهورية التونسية ، دار الفرابي ، بيروت ، ط2 ، 2007 ، ص 50 .

[34]. ينظر: مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي ، دار القلم ، دمشق ، ط4 ، 2005 ، ص 58 .

[35]. السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1408هـ ، 1988 م ، 1/ 43 .

[36] . البرهان في علوم القرآن ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1 ، 2004، 1 / 41 .

[37] . ينظر: أحمد أبو زيد ، التناسب البياني في القرآن ، ص 26 .

[38] . صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق ، 2 / 93.

[39] . ينظر: صبحي إبراهيم الفقّي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق . محمد الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ...

[40] . ابن سنان الخفاجي ، سرّ الفصاحة ، دار الكتب العلمية، ط1، 1982، ص 199 .

[41] . ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408، 1988م، 1 / 58.

[42] . ينظر: صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،164، أغسطس 1992، ص 243 ، 244 .

[43] . يُنظر: الفصلان الأوّل والثاني من الباب الأوّل من كتابه " البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة " .

[44] . ينظر: محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، أفريقيا الشرق، المغرب ، الدار البيضاء، بيروت ، دط ، 1999، ص454 .

[45] . أحمد جمال المرازيق ، جماليّات النقد الثقافي نحو رؤية للاتساق الثقافية في الشعر الأندلسي ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ط1، 2009 ، ص21 .

[46] . صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق ، 2 /147.

[47] . حسين جمعة ، التقابل الجمالي في النّص القرآني (دراسة فكرية وأسلوبيّة) ، منشورات دار النمير ، دمشق ، ط1 ، 2005، ص154 .

[48] . جابر عصفور، النقد الأدبي، مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 2003 ، 1 / 337 .

[49] . ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النّصي ، 2 / 170 ، 171 .

[50] . عاصم محمد أمين ، لغة التضاد في شعر أمل دنقل ، دار صفاء ، عمان، الأردن، ط1، 2005، ص57 .

[51] . ينظر: محمد بركات ، بلاغتنا اليوم بين الجمالية والوظيفة، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن، ط1، 2004، ص 95.

[52] . ينظر: محمد عبد الباسط ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2009 ، ص81 .

[53] . الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ،3 / 207.

[54] . محمد عبد الباسط ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، ص 69 .

[55] . ينظر: علم اللغة النصي ، 2 / 131.

[56] . ينظر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس ، د ط ، 1984هـ ، 30 / 102 .

[57] . المرجع نفسـه ، 30 / 137 .

[58] . المرجع نفسـه ، 30 / 138 .

[59] . محمد علي الصابوني ، الإبداع البياني في القرآن العظيم ، المكتبة العصرية ، صيدا، لبنان ، ط1، 2006 ، ص438.

[60] . محمد عبد الباسط ، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن ، ص 64 .

[61] . سعيد حسن ، دراسات لغويّة تطبيقية في العلاقة بين البنية والدّلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2005 ، ص94 .

[62] Darmesteter Arsène la vie des mots paris ed. delagrave 1946 p23

[63] . ينظر: ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 30 / 188، 189.

[64] . الصابوني ، صفوة التفاسير، دار الصابوني ، القاهرة ، ط1، 1417 هـ - 1997 م، 3/ 507.

[65] . الصابوني ، صفوة التفاسير، 3/ 507.

[66] . ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 30 / 202 ، 203 .

[67] . البرهان في علوم القرآن ، 1 / 43 .

[68] . ينظر: السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن ، دراسة تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ، مرزوق علي إبراهيم ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د ط ، د ت ، ص141، 142.

[69] . ينظر: سيد قطب ، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت ، القاهرة ، ط 17، 1412هـ ، 6 / 3572.

[70] . ينظر: المرجع نفسه ، 6 / 3562 وما بعدها .

[71] . ينظر: البرهـان في علوم القرآن ، 1 / 43 .

[72] . ينظر: فاضل صالح السامرائي ، على طريق التفسير البياني ، دار الفكر، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2011 ، 1 / 81 .

[73] . ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1964، 20 / 200 .

[74] . ينظر: الشوكاني ، فتح القدير ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت ، ط1 ، 1414 هـ ، 5 / 608 .

[75] . ينظر: السيوطي ، أسرار ترتيب القرآن ، ص 137 .

[76] . ينظر: محمد رجب بيومي، البيان القرآني ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط2 ، 2005 ، ص226 ، 227 وما بعدها.

[77] أحمد عفيفي ، نحو النص ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، 2000، ط1، ص113 .

[78] . الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1415هـ ، 198/15.

[79] . النّص هو " ولما كان في سورة الإنسان ذَكَر نزراً من أحوال الكفّار في الآخرة، وأطنَب في وصْف أحوال المؤمنين فيها ، جاء في هذه السّورة الإطناب في وصف الكفار والإيجاز في وصف المؤمنين، فوقع بذلك الاعتدال بين السورتين"، (أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، تح : عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1422 هـ ،2001 م ، 8 / 399).

[80] . علم اللغة النصي ، 2 / 171 .

[81] . ينظر: المرجع نفسـه ، 1 / 337 .

[82] . محمد الخطابي ، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام النّص ، المركز الثّقافي العربي ، الدّار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، ط2 ، 2006 ، ص202 .

[83] . ينظر: عبد الهادي عبد الرحمن ، سلطة النص قراءات في توظيف النص الديني ، سينا ، الانتشار العربي ، لندن ، بيروت ، القاهرة ، ط2 ، د ت ، ص 91 .

[84] . محمد عبد الباسط ، النص والخطاب ، ص 75 .

[85] . محمود المصفار ، سيميائية القرآن بين الحجاج والإعجاز، شركة مني، صفاقص، تونس، د ط، د ت،ص46.